



متحف عاطف ياسين في النبطية؛ عقب التاريخ في لوحات وقطع نادرة...

علي بدر الدين

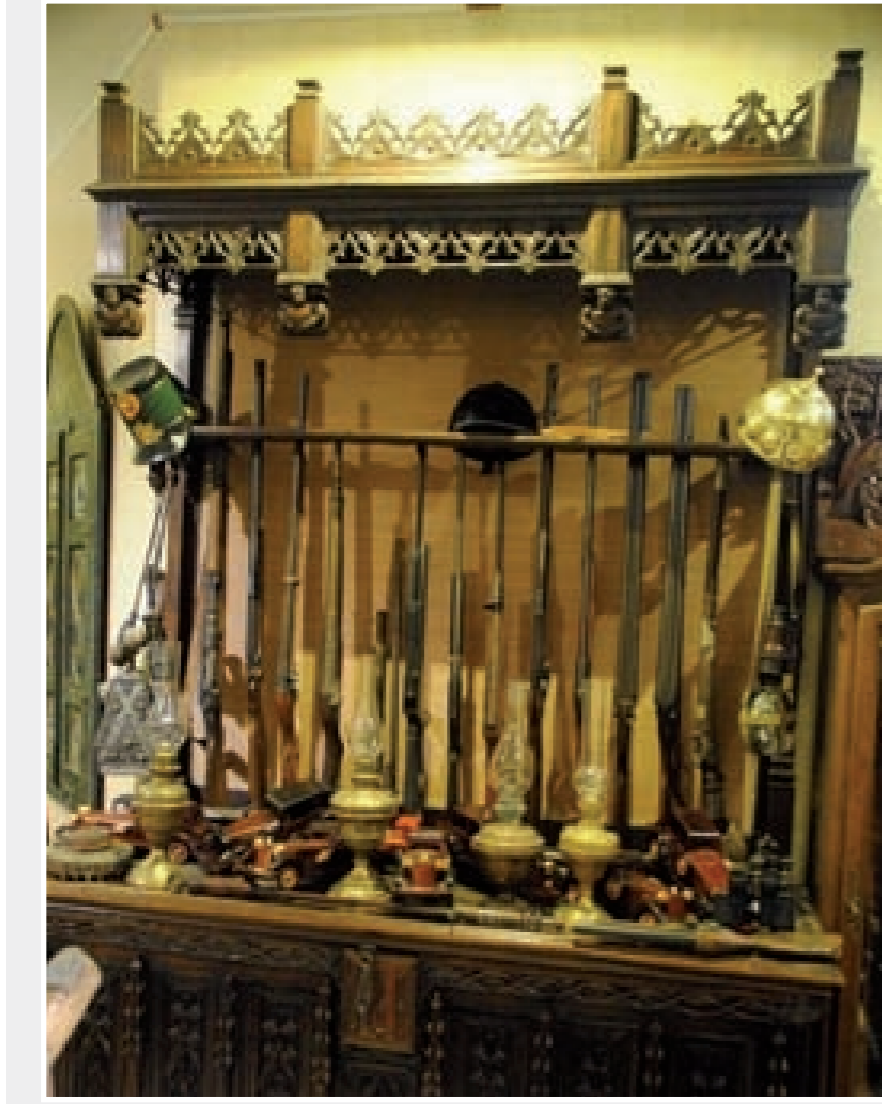
يكتنز منزل رجل الأعمال عاطف ياسين في مدينة النبطية حكايات شعوب وتاريخ وأطمان وأمجاد عبرت، بدلا من جواهر الماس والذهب. إنها كنوز نادرة بحث عنها وجمعها على مدى ثلاثة عقود في أحضان منزله ووضع عليها خراسا منها. ويقول ياسين إن ما جمعه من تراث، من لبنان والعالم، ليس لمجرد أنها هوية يفضّلها، بل لأن هذه المكتنات تجسد نتاج بشر أخلصوا وصدقوا وأثروا حضاراتهم الممتدة إلى اللانهاية. حضارات باتت ماركة مسجلة أو علامة فارقة لا بداعات لا يمكن لأحد تزويرها أو نسخها، وهي تمثل بحملها حكايات الشعوب وسلوكياتها وعاداتها وتقاليدها وربما أكثر. في جولة على الموجودات - الكنز تكمن المفاجأة والدهشة في حجمها وأشكالها وتنوعها ومصارها التي تتوزع على مساحة اللباني، مع أنّ أكثرية الموجودات تعفل التاريخ اللباني البعيد. وأجزم أن لأحد في لبنان أو خارجه قادر على جمع القليل منها لأنها بأعدادها وأنواعها وتواريخها وبدقة حرفيتها تعود إلى نحو مئتي عام.

إننا أمام متحف غير مُعلن يعبر عن أصالة حقيقية لصاحبه ياسين الذي لم يرض أن يرى هذه الكنوز التي لا تُقدر بثمن مرمية على قارعة الطرق وقد تحولت بفعل سماسرة التراث سلعة يشتريها أصحاب القصور والبيوت الفارهة لمجرد التباهي. آزاد ياسين حماية هذه القطع النادرة من الأندثار

والضياح في الكهوف والإقبية المَهْملة والمنسية، فهو يريد لها أن تبقى حيّة وأن تحافظ على قيمتها ورمزيتها وتنتقل من جيل إلى جيل. لا شيء يخطر في باله أو تبحث عنه أو ترغب برؤيته والاستمتاع به إلا وتجدّه، إمّا مُعلّقاً على جدار المتحف أو مركّوبا في زاوية تليق به أو مُخفّيا خلف ستار التاريخ خشية أن تمتد إليه يد الإنسان من دون رحمة، خصوصا إذا كان ممن لا يعرفون للتاريخ والتراث أي قيمة. يختصر المتحف أحداث التاريخ وحكاياته ومنتجاته المتعددة الأشكال والأنواع والفنون والحاجات اليومية للناس، ولكل قطعة أو مجموعة حكاية تعيدك بالذاكرة إلى ماضٍ لم تعشه وربما تكون قد قرأت عنه وإلى أحداث تُملأ الزمان والمكان بجمالهما وروعتهما.

سألنا عاطف ياسين: كيف لشخص واحد أن يجمع آلاف القطع النادرة والمنتقات بدقة وبرغبة قوية. هل هي مجرد هواية وحسب. أجاب: لا أنفي أنني أهوى جمع الأثرية والتراثية، لكنّ هدفي أبعد من ذلك بكثير، فانا أعشق قيمتها التاريخية وما تظله وما تنتهي إليه من عصور وحقبات وحضارات. وكله يهون عند ترجمة شغف التعلق بالماضي المضيء والمشرق قيما وأمسلا وديمومة وحضارة وحيّة. وبإستطاعة أي كان أن يحقق ما يريد بالإرادة والرغبة والصبر والشغف.

يضيف ياسين: كم نحن بحاجة إلى العقل والإبداع وإحياء التاريخ والتراث الذين صنعتهما أيادي من سبقونا من دون ملل أو غش أو خداع أو تزوير



كنيسة القديس حنانيا... أيقونة الفن الكنسي الدمشقي

لورا محمود

إهداء من كنيسة السيدة بطريركية الروم الكاثوليك. إذا مررنا حاليا من أمام هذه الكنيسة التي هي عبارة عن بيت عربي يمتد حائطه الجنوبي حيث الباب في رُزاق القرشي - الميدان، والتي كانت مجمعا متكاملًا يحوي، بالإضافة إلى الكنيسة، دار مدرسة حنانيا الرسول المختلطة الابتدائية وجمعية حب الرحمة الخيرية، نجد أنّ المعالم الأساسية للحائط قد تغيرت ويتضح ذلك من الحجر البازلتّي الأسود الذي بني به مع الكنيسة والذي اختفى إبان الترميم تحت الطبقة الإسمنتيّة المدهونة باللون الأبيض الداكن. وتعلو الباب لافتة رخامية كتب عليها (كنيسة القديس الرسول حنانيا الأرثوذكسية تأسست عام 1815)، ولولا هذه اللافتة لما كان بإمكان أي غريب عن هذا الحي أن يعرف أنه يمزّ بجانب كنيسة لها عراقتها فما أن تدخل من هذا الباب مباشرة إلى حرم الكنيسة الداخلي الجنوبي حتى تجد نفسك في ساحة سماوية بسيطة تشبه ميثالها من البيوت الدمشقية المصنفة بالشعبية البسيطة، ومن الجهتين الشرقية والغربية غرف أرضية وأخرى عليا، والكنيسة مربعة الشكل مؤلفة من طبقة أرضية وشعبية للنساء وقبة مربعة، يحيط بها من جانبها الجنوبي والشمالي فناء أو فسحة سماوية، أما جانبها الغربي فهو عبارة عن دهلين مسقوف يتسع قليلا ويؤدي إلى درج الشعبة، بجانب هذا الدرج بئر الجرسية، وفيه برج الجرسية الإسمنتي، وقد كان خشبيا جميلا، ولكنه كان آيلا للسقوط، فاستبدل إبان الترميم عام 1983 ببرج إسمنتي يظهر من بعيد، ولكن الكنيسة ثلاثة أبواب تحت الأروقة، محاطة بزخارف حجرية دمشقية جميلة جدا، والأبواب خشبية محفورة ومقلّعة بطريقة فنية جميلة، ولونها بني كلون بقية قطع

تقع الكنيسة في رُزاق جعفر أحد الأحياء المسيحية التاريخية العريقة في الشارع المستقيم داخل أسوار دمشق القديمة المؤدي إلى باب شرقي، أحد أبواب دمشق على السور من الجهة الشرقية. والكنيسة عبارة عن بيت دمشقي تم تحويله إلى كنيسة. وتقع الكنيسة القديمة تحت الأرض يؤدي إليها بدرج هو عبارة عن تحفة تاريخية تعود إلى أكثر من 2000 عام وسبب وجود هذه الكنيسة تحت الأرض هو أنّ المؤمنين كانوا في بداية التبشير بالديانة المسيحية يتعرضون للاضطهاد لذا كانوا يجتمعون للمصلاة في سراديب تحت الأرض ويتخذونها كنيسة للعبادة.

وصفها المعماري

حافظت الكنيسة على طابعها التراثي وعلى النمط الدمشقي الأرثوذكسي. أرضيتها مبلطة بالبلاط المرّجّع الكبير بفواصل سوداء لها ثلاثة أروقة كلّ منها محمول على ثلاثة أعمدة مربعة الشكل تتكي عليها الشعبة، فيها (أيقونستاس) خشبي غير محفور وهناك ثلاثة أبواب ملوكية، وفي الأعلى، أي تحت سقف الكنيسة مباشرة وضعت رابتان روسيتان جميلتان واحدة للسيد والثانية للسيدة والسقف مائل لسقوف البيوت العربية الدمشقية المسقوفة بأشجار الحور والصفصاف وفي وسط الكنيسة تنتشر مقاعد المؤمنين في الأروقة الثلاثة، بالإضافة إلى صف من المقاعد الجدارية الخشبية على محيط الكنيسة، وعرشين: أحدهما بطريركي والثاني أسقفى بسيط، أما العرش بطريركي فهو فخم مصدّف ومثّقن الصنعة عليه عبارة تفيد بأنه

القديس حنانيا

«حنانيا» اسم عبري معناه (يهوه تحنن) وهذا الاسم هو نفس كلمة حنانيا أو حننيا في الأصل العربي، واشتهر القديس حنانيا بشفاة القديس بولس الرسول وتميمه كميحي.

عاش في دمشق خلال القرن الأول في منزل يعرف حتى يومنا هذا باسم كنيسة القديس حنانيا. لا يُعلم أين ولد، لكن من المرجح أنه من أبناء دمشق، وقد سكنها في مرحلة بدء انتشار الديانة المسيحية وكان مُبشرا بها.

سافر حنانيا إلى جهات عدة مُبشراً بالإنجيل، واحتمل أشدّ الاضطهاد والعذاب، وورد في التراث أنّ القديس حنانيا هو أحد الرسل السبعين وأنه جُعل أسقفا على دمشق وبشر بالكنيسة في بيت جبرين الفلسطينية وأتى بالعديد من الوثنيين إلى الإيمان، وأعطاه الله موهبة صنع العجائب، ويقال إنّ عمله البشّاري في بيت جبرين كلّفه حياته وأنه مات رجما.

تحتوي قصة الحب الأزلي بين الله والإنسان من قلب أحد أحيائها العريقة في القدم وستبقى كنيسة حنانيا الدمشقية مع شقيقتها الكبرى القريبة منها (المريمية) شاهدا صارخا على الحضارة الشامية، وعلى الفن الكنسي الدمشقي، وعلى الإيمان القويم الذي تحلّت وتقسيماتها لتغدو نقطة مضيئة في تاريخ دمشق

الأثاث والإيقونستاس والنوافذ والمقاعد، أما فوق الباب الغربي، فتعدّ النقوش الحجرية هي الأصل بين هذه الأبواب الثلاثة. تعلو هذا الباب رخامة كانت على ما يبدو تحمل نقوشا طليت حين الترميم وبقيت آخر الدهليز في يسار الجهة الشمالية إلى صالون صغير كان غرفة إدارة مدرسة حنانيا الرسول الأرثوذكسية



لوحات تزئّن جدران القاعة الداخلية

مقاعد خشبية متناسقة وزخارف رائعة

الدرج المؤدي إلى الكنيسة تحت الأرض